الحقير فاذا راى نفاسة الاخرة وحقارة الدنيا استنكف ان ينظر ويلتفت الى الدنيا كلها ولو
اعطى ملك الارض كلها فى المشرق والمغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر
منغص فكيف يفرح به فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده وكل
انسان يدعى انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر باعماله فانه يعتنى باسباب ربما لا يحتاج
اليه فى سنة فدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب عينه ولا
يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فان عاش الى المساء يشكر
الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخر لنفسه
ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر ذلك الا لمن فرغ قلبه عن الغد
ما يكون فمثل هذا اذا مات سعد وغنم فليكن الموت على بالك يا مسكين ولعلك
قد فارقت المنزل وقطعت المسافة ولا تكن من الذين يأملون البقاء ابدا ولا من
الذين يأملون الى الهرم ولا من الذين يأملون الى سنة ولا من الذين يأملون نهارا
الى ليل وليلا الى نهار ولا من الذين يأملون ساعة فساعة بل كن من الذين يكون
الموت نصب عينهم كانه واقع وهم ينتظرونه وهؤلاء الذين يصلون صلوة مودع كما
نقل عن الاسود وهو حبشى انه كان يصلى ليله ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل
ما هذا قال انظر ملك الموت من اى وجه يأتينى فهذه مراتب الناس ولكل درجات
مما عملوا العصمة لله تعالى باب فى عقوق الوالدين قال الله تعالى وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما
فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما الاية لما امر الله تعالى بعبادة نفسه
اتبعه ببر الوالدين ووجه المناسبة بين الامرين امور احدها ان السبب الحقيقى
لوجود الانسان هو تخليق الله تعالى والسبب الظاهر هو الابوان فامر بتعظيم الحقيقى
ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهرى وثانيها ان الموجود اما قديم واما حادث
ويجب ان يكون معاملة الانسان مع الاله القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث
باظهار الشفقة وهو المراد من قوله عليه السلام التعظيم لامر الله تعالى والشفقة

على خلق الله تعالى واحق الخلق بالشفقة الابوان لكثرة انعامهما على الانسان بل نعمتهما
على الولد هى اكثر من نعمة تصل من انسان الى انسان وايضا حال ما يكون الانسان فى غاية
الضعف ونهاية العجز يكون اصناف انعام الابوين واصلة الى الولد واذا وقع الانعام على
هذا الوجه كان موقعه عظيما فثبت بهذه الوجوه انه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على
غيره مثل ما للوالدين على الولد فلهذا ابتداء الله تعالى بشكر نعمة الخالق ثم اردفه بشكر
نعمة الوالدين وقال ان اشكر لى ولوالديك وقوله احسانا بلفظ التنكير يدل على
شدة الاهتمام اى احسانا عظيما كاملا ولان احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة
فوجب ان يكون احسانك اليهما كذلك وان لم تحسن اليهما كذلك فلا تحصل المكافأة
لان انعامهما اليك على سبيل الابتداء وفى الامثال المشهورة ان البادى بالبر لا يكافى
وقوله ولا تقل لهما اف مثل يضرب للمنع من كل مكروه واذية وان خف ودلت هذه الاية
على المنع من سائر انواع الايذاء دلالة لان اهل العرف اذا قالوا لا تقل لفلان اف
عنوا به انه لا يتعرض له بنوع من انواع الاذاء فاذا دل على المنع بالتأفيف والشتم
والضرب من باب اولى وقال بعضهم قوله اف معناه التضجر اى لا تتضجر عند خروج
مكروه منهما واماطة البول والخلاء عنهما كما كان يميطانهما عنك صغيرا ولا تقل
لهما قولا رديا والحاصل ان المقصود من هذا الكلام المبالغة فى تعظيم الوالدين
وعنه عليه السلام لو علم الله شيئا من العقوق ادنى من اف لنهى عنه فليعمل العاق
ما شاء ان يعمل فلن يدخل الجنة قوله وقل لهما قولا كريما لما منعه عن القول المؤذى
وذلك لا يكون امرا بالقول الطيب فلاجرم اردفه بان امره بالقول الحسن وقال
وقل لهما قولا كريما قال عمر رض هو ان يقول يا ابتاه يا اماه وقال عطاء رض هو ان
يتكلم معهما بشرط ان لا يرفع اليهما بصره وقال مجاهد رض لا تسميهما ولا تكنهما
وقل قولا لينا حسنا عاريا عن اللغو وقال القرطبى رح لما امر الله سبحانه وتعالى
عباده بعبادة نفسه وتوحيده وجعل للوالدين مقرونا بذلك كما قرن شكرهما
بشكره وقال ان اشكر لى ولوالديك ومن البر اليهما ان يحسن اليهما ولا يسبهما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)